من وجهين اما الذاته من حيث لفظه ومعناه المخصوصان اذ تاليفه
ليس على هيئة ما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له رساله ولا
خطابه ولا شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك
واما الصرف الناس عن معارضته والاعجاز في هذا الذي هو ايضا اذا
اعتبروا ذلك انه ما من صناعة محمودة او مذمومة الا وبينها وبين
مناسبة خفيفة واتفاق حمل التوجه ولهذا تجد هذا يوثر حرفه لانشراح
صدر لها وذاك يكرهها ويتشرح لحرفة اخرى وهكذا فلما دعا الله
اهل البطالة الذين يهيمون في كل واد من المعاني بسلاطة لسانهم
الى معارضة القران فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم ينتصد والمعارضة
لم يخف على اولي الالباب ان صارفا اليها صرفهم عن ذلك واي اعجاز
ابلغ من ذلك انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه
للنظام من المعتزلة لكن افسدوه بان قوله تعالى قل لئن اجتمعت
الانس والجن الاية فيه دليل ظاهر على عجزهم مع بقا قدرتهم ولو اسلبوا
القدر لم تبق فايدة لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس
عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان الاجماع منعقد على ان اضافة
الاعجاز الى القران والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى
القران و2 يلزمه زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وفيه خرق
لاجماع الامة ان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم العظمى باقية ولا
معجزه له باقية اظهر من القران ويلزم الصرف ايضا لانه لا فضيلة
القران على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقا قدرتهم فيه
الجمع بين النقيضين وهو محال قلت محال معنى قدرتهم

ان

كل يوم يهدي الى سامعيه المعجزات تحلى به المسامع والافواه فهو الحلى والحلواء

ان اصابة همهم توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة عليها فعجزت
الى المحاكاة وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا المعارضة اصلا لقطعهم
من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها البتة فان قلت
توجه الهمم اليها مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى قدرة قلت
ممنوع بل تسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك
ان اهل فن البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكاة ابتدا
بل بعد الاختبار فتامله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي
مع القطع بعجزهم عنه ونظير ذلك خطاب من علم الله منه عدم
الايمان بالايمان كابي جهل وابي لهب نظرا القدرتهما عليه باعتبار الظاهر
واعراضا عن النظر للغايات والعواقب ومن المفاسد انهم قول
ضلال ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما تاخروا عنه لعدم
العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به واخرين ان العجز انما وقع
من الموجودين واما من بعدهم ففي قدرتهم الاتيان بمثله ومما يرد عليهم
ان جماعة ممن انتهت اليهم الرياسة في الفصاحة تعرضوا لمعارضته
كابن المقفع والمعري والمتنبي ونظرائهم فلم ياتوا الا بما تمجه الاسماع وتنبو
منه الطباع ونادى عليهم بالخزي والانقطاع وصيرهم مثله وسخرية وضحكة
الى ان تاب الزاهد واظهر ندمه ونسكه ولاشتمال القران على ما لا يحصى
من العلوم والمغيبات واحوال العالم الدنيوي والاخروي وغير ذلك
من العجايب كان كل يوم اي وقت يهدي فاعله القران اي توصل
وافاد التعبير به تشبيه المعجزات المتحف المهداه فهو استعارة
بالكناية تتبعها استعارة تخييلية الى سامعيه معجزات من بيان

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)